

حقيقة معاداة السامية في فلسفة "فريدريك نيتشه"
Anti-Semitism reality in "Friedrich Nietzsche"
philosophy

مريم مزيان ،

جامعة الجزائر 2 ،

Meriem.meziane@univ-alger2.dz

عبد المالك عيادي

جامعة الجزائر 2 ،

Abdelmalek,ayadi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/11

تاريخ القبول: 2024/11/21

ملخص:

إن العداء للسامية ظاهرة اجتماعية لا يمكن إنكارها ، وقد كانت إلى فترة قريبة أبشع أشكال العنصرية داخل أوروبا ، وهذه المسألة تعد من صلب مواضيع الفكر الفلسفي ، والفلاسفة لم يكونوا بمنأى عن تأثرهم بما يدور من صراعات ، فقد أنتجت في ذلك المئات من الكتب التي ناقشت حقيقة تعرض اليهود لموجة عنف بربرية سعت إلى إقصاءهم ، حيث يوجد من الفلاسفة من أدينوا و اعتبروا مسئولين مباشرين ومن بينهم "نيتشه" ، فالهدف من تناول هذا الموضوع هو تقصي الحقيقة فقد برزت قراءات متناقضة المدينة في البداية و الساعية إلى تبرئته في فترة لاحقة لتقدم صورة إيجابية عنه بجعله مفكر غير مسئول عن التأويلات الفاسدة التي تعرض لها نصه ، وبالتالي فرصة لكل من يريد أن يقرأ "نيتشه" وراء كل تأويل

الكلمات المفتاحية: معاداة السامية , قلب القيم , الإنسان المتفوق , العدمية , الأخلاق اليهودية.

Summary :

Anti-Semitism is an undeniable social phenomenon, and until recently it was the most hideous form of racism in Europe. This issue is at the heart of philosophical thought, as philosophers were not immune from being affected by the ongoing conflicts. Hundreds of books were produced that discussed the fact that Jews were exposed to a wave of barbaric violence that sought to exclude them, as there are philosophers who were convicted and considered directly responsible, including "Nietzsche". The aim of addressing this topic is to investigate the truth, as contradictory readings emerged, initially condemning him and seeking to exonerate him later to present a positive image of him by making him a thinker who is not responsible for the corrupt interpretations to which his text was exposed, and thus an opportunity for anyone who wants to read "Nietzsche" behind every interpretation.

Keywords: Anti-Semitism, reversal of values, Superman , nihilism, Jewish ethics.

المؤلف المرسل: مريم مزيان، الإيميل: meriem.meziane@univ-alger2.dz

أولاً. مقدمة:

إن مسألة "معاداة السامية" يعود لفترات تاريخية خلت ، إلا أن خصوصية الظرف التاريخي في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين منح للموضوع أهمية أكبر لأن أوروبا شهدت تحولات عديدة مست مختلف مستويات الحياة سواء الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية و الفلسفية ، فقد طرحت هذه المسألة على أكثر من جبهة وفي أكثر من دولة بالخصوص ألمانيا و روسيا ، فخاض فيها الساسة و رجال الدين والإعلام ، مثلما خاض فيها الأفراد و الجماعات ، لكن الشيء المميز لهذا الأمر هو أنه كان موضوعاً فلسفياً ونقطة اهتمام أثارت الخطابات النظرية للفلاسفة فحللوا الموقف من وجهات نظر أقل ما يقال عنها أنها متوترة ، وقد عد الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" (Nietzsche 1844_1900) واحد من الذين يرتبط فكرهم بهذه القضية لا بل لعل اسمه كان الأكثر بروزاً ، هذا المفكر المعروف بـ فيلسوف المطرقة ، مفكر الهدم ، ونبى العدمية ، هذا المفكر العصي على الاحتواء و المنفلت من كل عقال و منطق ، والمتميز باللغة الجسورة الصارمة و الحادة التي كانت لها وقع المطرقة على سامعها ، طبعاً قيل الكثير في أطوار حياته و في محطاتها الملتبحة ، وفي أمراضه و جنونه و هذيانه في حياته الاجتماعية و العاطفية ، فقد تناول اليهود و اليهودية كثقافة و كديانة ثم كمنظومة أخلاقية أثرت على سير الحياة في أوروبا ، ولم يغفل كذلك على التحليل الطبائعي لفهم صفة الفرد اليهودي وتفسير ميزاته بغض النظر عن سلبياتها و إيجابياتها فمع صعود الحركات الفكرية المناوئة لعداء العنصر السامي والتي تدين كل تنظير لرفض أفكار العنصرية برز "نيتشه" على لسان وتحت قلم كل ناقد بحجة أنه رمز للعداء ، وأن فلسفته هي بيان قومي عنصري ، ومن هنا سيأتي الإشكال كالتالي ما حقيقة

معاداة السامية في فكر "فريدريك نيتشه"؟ هل هي تهمة ألصقت به من طرف المؤولين؟ أم أنها عنصرية ألمانية متجذرة فيه؟
فتهدف هذه الدراسة إلى إزالة الغموض حول الطرح الذي قدمه "نيتشه" بخصوص اليهود ، فالسعي للمكر هي إحدى المسائل التي وصف بها نيتشه من منطلق أنه قومي و قراءاتي السابقة تركت فيا انطبعا بكونه لا علاقة له بالقومية الألمانية و لا بالنازية ، فتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه ينتهي إلى تلك المواضيع التي تنتج عن كل لقاء بين المفكر و السياسي ، فتستهدف هذه الدراسة تفكيك العناصر الذرية في فلسفة "فريدريك نيتشه" أي تلك الكشف في مفاهيم و مواضيع بحد ذاتها لا السياق الكلي الذي يقتادنا إليه الباحثون تحت اسم "نيتشه" دائما .

ولأبلغ مقصدي المتمثل في مقارنة الإشكالية عمدت إلى المنهج التحليلي في التعامل مع النصوص النتشوية و المراجع المتخصصة في الموضوع ، واستخدمت طبعاً المنهج النقدي التاريخي لتتبع بروز الأفكار و المفاهيم ، وقد قسمت المقال على هذه الشاكلة شرح لمفاهيم "العداء للسامية" ، ثم انتقلت إلى "معاداة السامية" في الفكر الحديث وأخذت نموذجين من فلاسفة الألمان وهما "فيخته" و "هيجل" ، وبعدها تناولت حقيقة "العداء للسامية" عند "نيتشه" بين النصوص المدينة الحاملة للرفض وبين النصوص المبرئة و المنصفة .

ثانياً. معاداة السامية في الفكر الحديث :

إن مصطلح "العداء للسامية" يضرب بجذوره في الفكر العنصري الغربي الذي كان يرمي إلى التمييز الحاد بين الحضارات و الأعراق ، فميز في بداية الأمر بين الآريين و الساميين على أساس لغوي ، وهو تمييز ابتدعه الألماني "ارنست رينان Ernest Renan" (1823_1892) الذي تحدث عن اللغات السامية و عن الروح العبقرية الساميتين مقابل الروح أو العبقرية الآرية التي هي حسبهم صورة من صور الروح الهيلينية أو النابعة منها ، لتظهر بعدها الفكرة العضوية الخاصة

بالشعب العضوي و مفادها أن لكل أمة عبقيتها الخاصة و لكل فرد في هذه الأمة سمات أزلية يحملها عن طريق الوراثة ، وانتهى الأمر إلى الحديث عن تفوق الآريين على اليهود (الساميين) ، وهو العنصر الآسيوي المغروس كبذرة غير مرغوب فيها في أوروبا (1)

و مصطلح "العداء للسامية" تبلور بشكل كبير في العصر الحديث ، فمقت اليهود كان أمرا طبيعيا لأنهم حسب العقيدة المسيحية رفضوا إتباع قيم المسيح واهتموه بالدجل ، واستمروا في ممارسة ديانة باطلة ، وفي القرن التاسع عشر اكتست "معاداة السامية" طابعا عرقيا بعد أن كانت محصورة في الجانب الديني ، فاضطهد اليهود في عدة بلدان أوروبية ، لا شيء إلا لكونهم يهود فقط ، وكانت أسوأ مرحلة معاداة للسامية حسب بعض المؤرخين في روسيا ما بين 1905 و 1909 حيث راح ضحيتها ما يقدر ب 500 ألف يهودي ، ثم في ألمانيا النازية في الثلاثينات و الأربعينات ، حيث اعتبر النازيون اليهود جنسا أدني من الجنس الآري المتفوق ، كما اعتبروهم سبب كل متاعب ألمانيا التاريخية فحرموهم من كل حقوقهم المدنية ، و منعوهم من ممارسة أي تجارة أو حرفة و صادروا أملاكهم ، وبلغ اضطهاد النازية لليهود ذروته بالحل النهائي الذي اقترحه "أدلف هتلر" ، و هو محاولة إبادة جنس اليهود ، فقتل حسب الروايات ما يقارب ستة ملايين يهودي ، أي ما يفوت ثلث عدد اليهود في العالم في المعتقلات خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد الحرب استمرت "معاداة السامية" في شرق أوروبا والاتحاد السوفييتي لكنها لم تبلغ ما بلغت في ألمانيا النازية .

ومن دون الدخول في إشكالية تاريخية تتعلق بواقعية الأرقام المعلن عنها حول أعداد ضحايا اليهود على يد الروس و الألمان ب حكم كثرة الكتابات و مقالات المؤرخين الذين استندوا إلى روايات غزتها الإيديولوجيات و الأحداث السياسية التي عرفها القرن العشرون ، إلا أننا نؤكد أمرا واحدا مفاده أن اليهود في كل الفترات لم يجدوا موطننا يجعلهم يحسون باطمئنان على أنفسهم و مستقبلهم ،

وأن الكثير من الدول الأوروبية خصوصاً لم تكن تشترع قوانينها إلا بعد تحديد ما يجب أن تضيفه أو تنقصه لليهود إما مداهمة لهم أو خنقا لحضورهم . ف مسألة "العداء للسامية" على مستوى الخطاب تم تداولها لفترات تاريخية ربما تعود إلى العصور الوسطى في أوروبا ، أما على المستوى الفكري فقد ظهر هذا الإشكال في طابعه النظري الفلسفي بحدّة في خطابات الكثير من فلاسفة أوروبا سواء كانوا فرنسيين أو ألمان ، ولعل أحسن فترة ساد فيها هذا العداء و الذي أخذ أبعاداً متسعة نجد فترة نهاية القرن الثامن عشر إلى غاية القرن العشرين ، حيث نجد الكثير من الخطابات الفلسفية التي تناولت هذه المسألة في شكل اتهامات موجهة لأفراد أو مواقف ، نداءات قومية ، وتحاليل تاريخية ومن هؤلاء الفيلسوف الألماني "فيخته" و مواطنه "هيجل" .

1 . معاداة السامية عند الفيلسوف الألماني فيخته Johann Gottlieb Fichte (1762_1814):

اهتم "فيخته" ببناء تصور فلسفي حول الدولة و السياسة عبر سلسلة محاضراته التي ألقاها في جامعة برلين في فترة جد عصيبة ، برز فيها نابليون بونابرت حيث استولى على أمجاد الألمان ووحدها في إطار تصوره و مشروعه الإمبراطوري ف "فيخته" أول من نهض بمهمة بسط المذهب الكانطي و إصلاح أمره مؤمناً بأن من واجب أي فيلسوف و مفكر أن يبذل قصارى جهده من أجل إحقاق كل عظيم لقومه ، فقد أقر بأن كل ما هو عظيم و كل ما هو حسن وجميل في عصرنا هذا يرجع كله إلى رجال الماضي النبلاء و الأقوياء ، الذين ضحوا من أجل المبادئ و الأفكار بجميع مباحج الحياة (2)

فهدف "فيخته" هو تحقيق دولة ألمانية موحدة خالية من أي عنصر أجنبي و بالتحديد العنصر اليهودي وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة ، لذلك عد من أكثر الدعاة إلى القومية الجرمانية ، وربما كان هذا الفيلسوف من أنصار النزعة الإنسانية و الدولية في وقت من الأوقات ، ولكنه أصبح بعد ذلك فيلسوفاً

قوميا بكل معنى الكلمة ، و هذه الفكرة لخصها " فيخته " في قوله: >>إننا الشعب المختار ، شعب المستقبل ، إننا الوعي العالي للإنسانية << (3) فمسألة القومية عند " فيخته " أخذت مساراً مخالفاً للتصور الذي كان سائداً عند فلاسفة العقد الاجتماعي و المتعلق بمبادئ الفردية ، فإننا نجده ينادى بالنظرية العضوية في الدولة ، وهي نظرية تقوم على ضرورة قيام الوحدة بين الألمان لأنهم يتكلمون لغة واحدة ، وهذه الدعوة تستهدف في الأساس تجاوز مسألة العقد الاجتماعي التي تأسست في عصر الأنوار ، و التأكيد على ضرورة امتداد حدود القومية الجرمانية بامتداد اللسان الألماني بحيث كل إقليم يتحدث اللغة الألمانية يتوجب إلحاقه طبيعياً بالأمة الألمانية ، كما ذهب إلى أن تأكيد مقترح الدولة الأمة و إلى أن أي أمة لا تقوم على دولة فهي أمة عاجزة ، باردة ، لآحياء فيها ، فيصل تمجيد " فيخته " للعنصر الألماني إلى مقام أعلي حيث يربط مصير الإنسانية بأكملها بمصير العنصر الألماني ، و هذه النداءات الموجهة في شكل محاضرات إلى الشعب لم تكن في الأصل مجرد دروس عامة أُلقيت في برلين من قبل أستاذ فلسفة ، بل هي دعوة مليئة بالأهداف السياسية ، هذا التفخيم للغة الألمانية و الشعب الألماني هو أصل فكرة " الجامعة الجرمانية " و هو أصل النبات السام للنازية .

2. عداء اليهود عند هيجل Friedrich Hegel (1774_1831) :

وفي نفس السياق نجد فيلسوف المطلق " هيجل " تكونت لديه نظرة عدائية للعنصر اليهودي ، حيث تبني هو الآخر موقفاً عدائياً ضدهم ، تلخص في إطار تصور للعقل و فلسفة التاريخ بطرح مفاده أن لا دور لليهود بعد الثورة الفرنسية و أن الوجود اليهودي لا معنى له في التاريخ الحديث ، فلم يفرد لليهودية أي دراسة مستقلة ، إلا أننا نجد حديثه عنها يمتد عبر دراساته عن المسيحية في مؤلفات فترة الشباب وفي الجزء المتعلق بالوعي البائس من كتابه " فينومينولوجيا الروح " ، بالإضافة إلى تناوله للحضارات الشرقية القديمة في

محاضراته في فلسفة التاريخ ، فحلل تاريخيا مفهوم الوعي اليهودي في كتابه "روح المسحية" ، وأيضا في "حياة المسيح" ، وفي هذا الأخير بالضبط بدأ بتحليل شخصية إبراهيم و ذهب إلى أنها تكشف عن ملامح طبعت من بعده كل بني إسرائيل لذلك يقول :>> كان إبراهيم يعيش حالة دائمة من الاغتراب ، اغتراب عن كل مجتمع مر به وعن أسرته ذاتها ، إذ ترك هاجر (المهجرة) و ابنه إسماعيل في العراء ، وأمر ابنه إسحاق ألا يتزوج من كنعانية بل من امرأة من عشيرته ذاتها ، أما هو فيسكن بعيدا عن إسحاق و أبنائه ، ومع حالة الاغتراب التي يعيشها إبراهيم لا يجد ما يؤنس إلا الإله الذي يتصور انه إلهه فقط ، وأن باقي الشعوب كفار << (4) وهي نفسها الطريق التي سلكها يهود القرون الوسطى و العصر الحديث

فاليهودي مصاب بجنون الانفصال و الانحراف ، ويسيطر عليه شيطان الكراهية و المقت ، الذي يهبه وحده القوة و الكيان فهو يفضل على الكثرة ووفرة الأشياء و تعدد كل ما يحيط به عن الوحدة الأصلية الثابتة ، فاليهودي سلبى التعامل مع الآخر ، يحب الوحدة و يفضل الرجال من مكان إلى آخر، و الانتشار بالفردية و الابتعاد عن قوانين الجماعة و تفضيل الاستفادة كشخص معزول من كل ما لا يخصه ، كل هذه الخصائص تميز بها اليهودي و فرضها على العالم بعد ذلك كحقيقة يريد أن يستنزف بها الآخر و يستأثر بأكبر قدر من المنافع و المكاسب .

ومن الأسباب الأخرى التي جعلت "هيجل" معادى للسامية كاثوليكيته المسيحية مؤمنا بعقيدة التثليث و بأهم ما جاء في العهد الجديد من حقائق ، ولا غرابة إذا أكد أن فلسفته تشكل مرافعة و دفاع عن الاعتقاد الديني في صورته المسيحية مؤكدا أن ما يهدف إليه الدين الذي هو عينه ما تهدف إليه الفلسفة فهما في الأصل يخدمان الغاية وحدها، ولما يتحدث عن الدين فهو يعنى صورة المسيحية كمذهب روحي يتجلى في الكنيسة ، ومن هنا يصبح التنظير الفلسفي

هو نفسه التنظير الديني التي تؤسس له الكنيسة الكاثوليكية تحت ظل الدولة البروسية (5)

وفي تحليل تاريخي أبرزه "هيجل" حول ظهور المسيح ، أبرز أن هذا الأخير كان متحررا من هذه الروح اليهودية اليائسة ، وأراد أن يرفع الدين إلى مستوى الأخلاق و الفضيلة ، أي أن يخلصه من الشريعة الجامدة و الشعائر التي لا معنى لها و يسترد للأخلاق عنصر الحرية التي افتقدها اليهود ، فعلى الرغم من أن الأخلاق هي أساس الدين ، إلا أن الروح اليهودية البائسة حولت الأخلاق إلى طاعة عمياء للقانون الإلهي و أداء آلي للشعائر ، وبذلك ضاع الجوهر الأخلاقي للدين : فما له قيمة وتقدير في عين الرب ليس الانتساب لإبراهيم أو أن يكون الرجل مختتنا ، بل أن يكون مضنيا لضميره الأخلاقي (6)

وهذا الطرح يجعلنا نفهم سر عداء "هيجل" للعنصر اليهودي ، و لكل رمز من رموز الثقافة العبرانية ، فهو يشكل في صورة مركزية مسيحية تتغذى من المسار النظري الذي حدده لحركة الجدل في التاريخ ، حتى أن اليهود وهم من ممثلي الأمم السامية يحتلون مكانة سفلى ، حتى أنها أول حركة وأدني حركة في تاريخ الروح ، و يوضح لنا "عبد الفتاح الديدي"، هذه المسألة حينما بشر أن اليهود في نظر "هيجل" هم أول موضوع في حركة الجدل الخاص بالفكر الخارجي الذي يبقى في حدود الأشياء الخارجية المحسوسة التي تدخل فيها مسيرة الأديان و العقائد ، لذلك فديانتهم تمثل ديانة العبودية بامتياز (7)

فاليهود بالنسبة له عنصر هدم و شك ، وينظر إليهم بنظرة توجس أصيل أو نزعة ريبية تؤكد أحيانا أنهم موجودون ولا وجود لغيرهم ، و أحيانا غير موجودون ومنسين و لا دور لهم ، و هذا التصور يمثل إرادة النذالة و الخبث الناتجة عن عبادتهم للمادة و هو يدينهم في ذلك باعتبار أن توجههم المادي هو الذي جعلهم يرفضون روحانية المسيح عيسى ، ذلك أن المسيح يمثل الانتقال إلى حياة الروح و ترك كل ما يتعلق بالمادة.

ثالثا. حقيقة معاداة السامية في فلسفة فريدريك نيتشه :

بعدما أظهرنا بعض أوجه معاداة السامية في القرن الثامن عشر إلى غاية بداية القرن التاسع عشر، سأركز على إبراز موقف "نيتشه" من اليهود ، بحكم أنه فيلسوف التناقضات بامتياز ، يرى حسنات الشيء و نقيضها في الوقت نفسه و يعبر عنهما بكل صدق ، و موقفه من اليهود لم يتحدد في جملة نصوصه إلا في صورة مفارقتيه متقلبة ، حيث يتضمن شذرات ظهرت في شكل انتقاد لثقافتهم و لدورهم الذي لعبوه طيلة حقبة عديدة من التاريخ ، وفي الوقت نفسه نجد شذرات أو رسائل في شكل اعتراف بتميزهم و صمودهم أمام كل ما عانوه ، فكيف يمكن تفسير هذا التناقض الصارخ في آرائه ؟

1. النصوص المدينة الحاملة للرفض :

لإبراز موقف "نيتشه" من اليهود بالعمل على إظهار تلك النظرة الإتهامية التي تؤسس لموقف مؤكد لمعاداة "نيتشه" لليهود ، و بغية استشكال هذا الأمر الجوهرى و الذي يعد من مواضيع الساعة علينا العودة إلى نصوص الفيلسوف ذاته ، و إلى كل مواقفه الصريحة و المضمرّة من أجل الوصول إلى حقيقة و صحة خطابه و نواياه التي يحملها إزاء هذه القضية المتعلقة بالعنصر اليهودي . مما لا شك فيه أن أعمال "نيتشه" تحوى الكثير من الإشارات المتعلقة باليهود و اليهودية و التي تحمل دلالات سلبية حولهم ، وهذا العداء نلمسه من خلال عدة مظاهر و التي يمكن أن نحصرها في انتقاداته إليهم و المدونة إما في رسائله أو في كتبه ، فقد حملت رسائل "نيتشه" التي أرسلها إلى عائلته الكثير من العبارات المسيئة لليهود ، و من بين الرسائل تلك التي وردت إلى أمه و أخته "إليزابيث" والتي شكا فيها مطاعم "لايبيزج" التي كانت تظم عددا لا يستهان به من اليهود ، حيث كتب في 22 ابريل 1866 يقول : <<إن الوجبات في مطاعم لايبيزج كانت سيئة ، و أن المدينة خالية من أية روح >>(8)، و يظهر "نيتشه" في هذه الرسالة نظرتة بخصوص اليهود و اشمأزاه من الخدمات التي يقدمونها حتى في أبسط

الأشياء كالطبخ ، و تؤكد أنه كان ينظر إليهم نظرة سخرية و استهزاء ، حيث كان ينتقد كل شيء بما فيه الطعام و المدينة التي كان يتواجد فيها ، و أن كل شيء سيء و غريب و قرف للغاية ، ف على الرغم من أن هذه المدينة ألمانية إلا أنها تفتقد إلى الحس الجرمانى المفعم إلى حد أن ما يقدم فيها لا علاقة له بالألمان و لا تقدم أي شيء ذو قيمة ، ووصلت حدود الوقاحة بكون كل شيء فيها مكلف و باهظ الثمن ، وهو دليل على أن اليهود كانوا قد وضعوا أيديهم على أمور التجارة وأن هوسهم بجمع المال مقابل خدمات سيئة أفسد هواءها و جعلها لا ترقى إلى مستوى المدن الأخرى ، فأدرك أنها مدينة تفتقد إلى ما يثير الفضول و الاهتمام و أن البقاء فيها مضيعة للوقت فقط .

مثلاً أشرنا على أن عداء "نيتشه" لليهودية كان أمراً واقعياً ، فقد تهجم عليهم في العديد من المناسبات خصوصاً في فترة تكونه التي شهدت خضوعه و وقوعه تحت تأثير العائلة و الأصدقاء ، وكذلك تحت تأثير الرومانسية الفلسفية ممثلة في "شوبنهاور" و الرومانسية الفنية ممثلة في الموسيقى "ريتشارد فاغنر" ، فقد تعرف "نيتشه" على هذا الأخير وزوجته "كوزيما" المعروفين بعدائهما للسامية واحترام كل النظريات العرقية المعادية لها ، و أفرد كتباً مبدجة للقومية الألمانية و محتقرة للعنصر السامي ، ومن هذه الكتب نجد كتابه المعنون بـ "أضواء على اليهود في الموسيقى" بين (1850_1869) ، فصورهم باعتبارهم تجسيد لقوى المال و التجارة و التمرد على القوانين و وصفهم بأعداء الحضارة ، كما تحدث عن دمار أو إبادة اليهود باحثاً عن السبل الكفيلة بتخليص الحياة الثقافية من اليهود بالقوة .

بلغ إعجاب "نيتشه" الشاب لـ "فاغنر" ذروته في "ميلاد التراجيديا" (1870) معتقداً إمكانية إحياء الثقافة الهيلينية من خلال دراما ته الموسيقية ، و في تلك السنة تلقى نيتشه بتاريخ 11 مارس 1870 رسالة دونها صديقه "جرسودروف" ، كان لها وقعاً إيجابياً على بنيته النفسية و أثرت عليه بأن جعلته أكثر اعتقاداً في

نبوغ "فاجنر" بوصفه نبوة و جهازا لمعاداة السامية ، فإن كتابه حول الموسيقى اليهودية يمثل فتحا للقومية في صورتها الكلاسيكية ، و قال أنه كان سعيدا لدرجة لا توصف لأنه تحرر من الخدعة التي أوقعته فيها تقارير الصحافة المهودة التي وصفت "فاجنر" كشخص سلبي ، و لكنه الآن مقتنع كل الاقتناع بأن ذلك أمر باطل ، يقول "جيروسدروف" مخاطبا "نيتشه": >>صديقك فاجنر عبقرى ، هذا الاختبار فتح لي عيني تماما ...، تحررت مما وقعت فيه في البداية ...، ولكنني الآن أرتجف بالفعل ، و بالفعل أواجه بفرح حقيقة أفكاره التي أنا معجب بها لأنها غنية المحتوى و جميلة الشكل >>(9)، فقد حرر "نيتشه" رسائل مختلفة يعود تاريخها خصوصا إلى فترة ما بين (1866_1872) وهى فترة شهدت توحيد ألمانيا بالإضافة إلى حروب "بسمارك"، و لهذا أصبحت معاداة السامية موضوعا سياسيا مهيمنًا ، و هو الأمر الذي سوف أحاول أن أبينه في العنصر التالي و الذي سأطرق فيه إلى نصوص نيتشه التي تحتوى على عدد وافر من الشذرات ضد اليهود .

ومن بين نصوص "نيتشه" التي تحمل عداء لليهود نصه الوارد في كتابه ما وراء الخير و الشر و الذي يقول فيها : >>ثمة فطرة عامة تفيد و تقول بوضوح أن لألمانيا ما يكفى من اليهود و يزيد ، وأنه يصعب على الدم الألماني و المعدة الألمانية أن يمتصا مجرد هذا الكم اليهودي كما امتصه الإيطالي و الفرنسي و الانجليزي بفضل هضم أقوى ، و هي فطرة يجب الإصغاء إليها و الفعل بموجها ، لا تسمحوا بدخول يهود جدد ، و بخاصة اقفلوا البوابات من الشرق و من النمسا أيضا>>(10) فاليهود في تصور "نيتشه" قد قلبوا كل القيم إلى قيم تتماشى مع أهدافهم و أغراضهم الشخصية دون أدنى اكتراث ، حتى و إن كانت مصدر ضرر للآخرين ، كما أنهم قلبوا جميع القيم الموجودة في الديانات الأخرى بما فيها المسيحية .

يتواصل سخط "نيتشه" على اليهودية ، ويظهر بالدرجة الأولى في تصوره أن اليهودية هي أحد أشكال أخلاق الضعفاء ، فعندما فقد اليهود دولتهم و حرّموا من حريتهم في العالم الروماني تشكل لديهم شعور مكبوت بالإساءة ، ولهذا انتقد "نيتشه" الأخلاق اليهودية التي يرى فيها منبعاً للأخلاق المسيحية التي أفسدت هي الأخرى مناخ أوروبا بكامله حيث يقول : >> إن تمرد العبيد في الأخلاق إنما بدأ مع اليهود ، هذا التمرد الذي يجر في أعقابه تاريخاً طويلاً من عشرين قرناً ، والذي لا يغيب اليوم عن ناظرنا إلا لأنه كان تمرداً مظفراً >> (11) ف توجهات "نيتشه" الفكرية تتأسس في محور معاكس تماماً لمبادئ اليهود ، من حيث أنه سعى إلى البحث عن توفير سبل التعالي على الذات ، و الماضي قدما من أجل إيجاد الإنسان المتفوق (سوبرمان) الذي يتميز بتحرره من كل القيم الأخلاقية الإرتكاسية التي سادت بالخصوص في تعاليم اليهودية ، ف "نيتشه" يقر بأن المعركة لا تزال محتدمة منذ عشرين قرناً بين روما واثرة الحضارة اليونانية من جهة ، و اليهودية موطن البغض و منزل الروح الكهنوتي من جهة أخرى ، وانتصرت اليهودية في هذه المعركة ، وانتصرت معها شريعة العبيد ف يقول : >> إن الخطيئة كما تنظر إليها المسيحية الآن ، وفي كل مكان و زمان تحكم أو حكمت فيه لبعض الوقت ، هي شعور يهودي ، اختراع يهودي ، من جهة نظر هذا المخطط المضمّر ، سعت الأخلاق المسيحية في الواقع إلى تهويد العالم >> (12)

فالخطيئة التي ارتكبتها المسيحية و كل الأخلاق السيئة التي نجدها عند المسيحيين كلها نتاج الاحتكاك بالشعب اليهودي ، فاليهود حسب "نيتشه" ولدوا من أجل العبودية مثلما أكده "تاسيوس" في العصور القديمة ، لأن اليهود أنجزوا انعكاساً خارقاً للقيم و أعطت لآلاف من السنين سحراً جديداً و خطيراً ، كما أعطت تعريف واحد لأنبيائهم و تتمثل التعاريف فيما يلي الغنى ، الكافر ، العنف ، و هذا كله عبارة عن انعكاس للقيم الأخلاقية ، كما نجد أيضاً كلمة

الفقراء مرادفة للكلمتين قديس و صديق و لهذا فإن التمرد الأخلاقي قد بدأ مع الشعب اليهودي، نقموا على المبادئ القائلة بأن الصالح و الشريف و القوى و الجميل و السعيد يحبهم الإله ، وعملوا على دحضها بمنطق قوى وقالوا إن الضعفاء و العجزة و الأشقياء و البؤساء هم الصالحون وحدهم ، وأن المتألمين و التعمساء و المرضى و القبيحين هم وحدهم المقربين إلى الإله ، ولهم وحدهم أعدت مساكن النعيم أما النبلاء و الأقوياء فهم في تلك الدار ، دار المخدولين و الأشقياء ف يقول في كتابه عدو المسيح : <<يهود صغار متميزون ، ناضجون لكل صنف من مشافي المجانين قلبوا القيم لأجل دواتهم و أدوارها لصالحهم ، كما لو أن المسيحي صار بالتأكيد المعنى ، الملح و المقياس ، و الحكم النهائي لكل الناس الآخرين ، كل هذه البغضاء النكدة ذات الشؤم ، فقط أمكن لها أن تقوم عبر وجود هكذا نمط من جنون العظمة متماثلا سلا ليا عبر اليهودي >>(13)

2. نصوص نيتشه المبرئة والمنصفة :

نشير إلى أن مهاجمة "نيتشه" لليهود لم تكن رفضا لعرقهم أو لتواجدهم كعنصر فاعل في المجتمعات الأوروبية وبالخصوص في ألمانيا ، حيث نجد في جملة ما كتبه العديد من الشذرات و المراسلات التي تدين كل موقف حقير يسعى إلى تشييتهم و غرس قيم الكراهية في نفوس الأوروبيين إزاءهم ، لذلك كان يتحدث بألم عن اليهود المعاصرين المشتتين "Diaspora" ، و يصبغ خطابات تتسم بنوع من الاحترام ، وهذا دليل على أن موقفه ليس بالضرورة عداءا عنصريا ، بل عداء نقدي طبائعي تماما مثل عدائه الذي أشهره للألمان المعروف عن "نيتشه" أنه قد أنهى الكثير من صداقته منذ 1876 وهي سنة ظهور مؤلفه "إنسان مفرط في إنسانيته" وتأسف لضحية وقوعه في ميولهم ومنها علاقته ب "فاجنر" ذاته ، وقد أدانه بكونه رمزا موسيقيا فاشلا ، و لن يغفر له بكونه ظهر كداعية نموذجي لمعاداة السامية ، ف موسيقى "فاجنر" حسب "نيتشه" وقعت في المأزق الذي وقع فيه الفن في العصر الحديث عامة ،

أي في لتدجين الذي أفضى بدوره إلى غياب قانون عمل للفنان و غياب مفاهيم النموذج و الدراية و الكمال بالإضافة إلى قيامه بالخلط بين غايات الفن و غايات الفلسفة و المعرفة و السياسة و الكنيسة ، فكانت النتيجة أن تحول الفنان "فاجنر" إلى فيلسوف و مبشر ديني و منظر ابستمولوجي بحشر أنفه في مسائل المعرفة و معنى الرايات القومية كداعية سياسية من الطراز النادر ، فمنذ هذه السنة 1876 تجاوز "نيتشه" ما كان قد وقع فيه ، و أخذ حسب "ارنست رينان Ernest Renan" في استخدام مشاعره المعادية لـ "فاجنر" لإحداث قطيعة مع أفكاره الأولى ، و هذا الأمر يؤكد إمكانية كون "نيتشه" ناقدا لليهود و ليس معاديا لهم فـ "نيتشه" حول هذا الأمر قد كتب من صنوف النقد للألمان ما لم يكتبه لأي شعب آخر ، بحجة أنه شعب بليد ، تبلد منذ قرون عدة بسبب الخمر و المسيحية ، وأن ادعاء التفوق رذيلة تخصهم يجعلونها اكبر فضائلهم .

ففي كتابه "إنسان مفطر في إنسانيته" الذي يشهد فترة التحول و الذي صدر جزئه الأول عام 1876 نجده يتحدث عن الشعب اليهودي باتزان و حذر شديدين ، حديث أقرب ما يكون إلى حديث الساسة و الدبلوماسيين في خطاباتهم ، ومن خلال بعض شذرات هذا الكتاب يتضح لنا موقفه من اليهود و المعضلة الاجتماعية التي يثيرها وجودهم ضمن المجتمعات الأوروبية ، فالنزعات القومية الضيقة لدى الأوروبيين أبعدت الأقلية اليهودية من دائرة القبول اجتماعيا وهذه المشكلة لا يمكن حلها كما يبين "نيتشه" إلا إذا استبدلت العقلية القومية لدى تلك الشعوب بالانتماء الإنساني أو ما اصطلح هو على وصفه بـ الأوروبي الصالح، ففي الشذرة المعنونة بـ الإنسان الأوروبي و تدمير الأمم يبرز مسألتي التعصب و اليهود في أوروبا، إن مشكلة اليهود لا توجد إجمالا إلا في حدود الدول القومية ، و هو أمر ناتج عن الغيرة مما حصلوا عليه بفضل طاقاتهم و ذكائهم المتفوق ، وكذلك بفضل رأسمالهم من العقل و الإرادة الذي

تراكم مدة طويلة جيلا بعد جيل في مدرسة الشقاء ، نتيجة تلك الغيرة أصبح الأوروبي ينشر ذلك الأدب المقيت الذي ينوى أن يسوق اليهود إلى المذبحة ككباش فداء ، عقابا لهم عن مسؤوليتهم الكاملة و تكفيرا لهم عن كل ما قد يسوء في الأمور العامة و الداخلية .

ف "نيتشه" في كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته" يقول: <<ابتداء من اللحظة هذه ، لا يعود الأمر يتعلق بالحفاظ على الأمم ، و لكن بتوليد جنس أوروبي هجين و أقوى ما يمكن ، فإن اليهودي يصير عنصرا قابلا للاستعمال و مرغوبا مثل أي أثر من الآثار الوطنية الأخرى ، لكل أمة ولكل إنسان ملامح منفرة ، بل شريرة ، و إنه لمن الظلم أن نطلب من اليهودي أن يكون استثناءا >> (14) فهذا النص مثلما يظهر يشكل يقينا و إثباتا بأحقية اليهود في الاندماج في البني السوسيولوجية الأوروبية بداعي أن فضائل اليهود على الأوروبيين تفوق فضائل الأوروبيين على أنفسهم ، لذلك لا يجب أن تشرع قوانين إلا بصفتها قوانين تخدم الكل بما فيهم اليهود أنفسهم .

و من النصوص التي يمجد فيها "نيتشه" العنصر اليهودي ما ورد في قوله : <<أما اليهود فهم بلا أدنى ريب أقوى و أصلب و أنقى عرق يعيش حاليا في أوروبا ، فهم قادرون على الصمود تحت أسوأ الظروف ، و ذلك بفضل فضائل معينة يود المرء اليوم أن يسميها رذائل ، و خاصة بفضل إيمان حازم ليس عليه أن يخجل من الأفكار الحديثة >> (15) ففي سعيه إلى تحديد فضائل اليهود على أوروبا ذهب "نيتشه" إلى أنه خلال أحلك أوقات العصر الوسيط التي بسطت فيها الغيوم الأسبوية كثافتها الرصاصية على أوروبا ، كانوا هم من استمر بما فيهم من مفكرين و علماء و أطباء ، رغم العنف الفظيع الذي مورس عليهم في رفع راية الأنوار و استقلال العقل ، لقد كانوا هم من دافع عن أوروبا ضد آسيا و أن أوروبا تدين لهم و لمجتهوداتهم بالنصر الذي حققه في النهاية التفسير الطبيعي للعالم المطابق للعقل و المتحرر من الأساطير ، لقد وقفوا حائلا أمام حدوث

قطيعة في حلقة الثقافة التي ربطت أوروبا بمعارف أنوار الإغريق و الرومان ، معنى أنه في الوقت الذي كانت فيه المسيحية تعمل على شرقنة الغرب كانت اليهودية تسعى من دون كلل إلى غربنته ، وجعله استمرار للإغريق . فيوجه "نيتشه" نصيحة إلى الساسة ليس في بلاده و حسب بل في أوروبا قاطبة ، حيث يقول : >> أن أي مفكر يشغل باله و يثقل ضميره مستقبل أوروبا سيحسب في كل الخطط التي يرسمها لهذا المستقبل أولا حساب اليهود و الروس بوصفهم أكثر العوامل ثباتا و رجحانا في ميزان القوى و صراعها الكبير>> (16) فهو ينصح بني قومه بطرد جميع الأبواق المعادية للسامية من البلاد ، ودعاهم إلى استقبال اليهود بتعقل و اصطفاية كما تفعل طبقة النبلاء في إنجلترا ، أما في ألمانيا الجديدة فمن المؤكد أن النماذج العرقية النشيطة جدا و المهتمة جدا تستطيع أن تتحالف مع اليهود ، فاليهود وجدوا في تاريخ آبائهم و أجدادهم كنزا من الأمثلة عن تفكيرهم الهادئ و ثباتهم على المحن و دهائمهم في استغلال المصائب و الصدف بواسطة الحيل إلى حد أن بطولتهم تفوق فضائل القديسين ، كما أنهم لم يكفوا يوما في الاعتقاد بأنهم مدعوون للقيام بأعظم الأشياء ، وأنهم يعرفون كيف يجعلون تلك المهن التي تترك لهم ليمارسوها تمنحهم إحساسا بالقوة وبرغبة أبدية في الانتقام ، تشريفا لإنهاكهم و هو الذي ولد شعورا بالاحترام لأنفسهم .

فقد كانت هذه بعض النصوص التي تبرئ "نيتشه" من تهمة "العداء للسامية" ، وهي تؤكد براءته من الرذيلة العنصرية ، وأن حملة "نيتشه" على اليهود راجعة إلى أسباب تاريخية قديمة ، و لا صلة لها باليهود المعاصرين له على الإطلاق ، و انتقاده لليهود ليس لكونهم بشرا يهودا ، و إنما كانت معاداة لأخلاقهم فقط ، فاليهودية عند "نيتشه" هي أصل المسيحية ، و هو غالبا ما يدمج العقيدتين في تيار واحد ، و يراها مسؤوليتين عن روح الضعف و التخاذل التي هي عنده من صفات المتدينين ، فيوجه عام رفض "نيتشه" لليهودية إنما هي امتداد لحملته

النقدية على المسيحية و على أصل من الأصول الرئيسية لها فحسب و معنى ذلك أنها حملة خلت تماما من كل إشارة إلى التعصب العنصري ما دامت تسرى أيضا على المسيحيين كلهم و منهم الألمان بوجه خاص.

سعيًا لكشف نوايا و مشاعر "نيتشه" بخصوص اليهود الأقرب إلى طبيعته كفيلسوف أولا ، ثم كإنسان نبيل ثانيا ، سأعمل على أن لا أفوت فرصة إظهار ما تعرضت له أفكاره من تزيف و تحوير مورش عليها لأسباب تتعلق بالظرف التاريخي الخصوصي في العشريتين الثانية و الثالثة من القرن العشرين ، و هذا التزيف تولته أيادي عديدة منها في المقام الأول أخته "إليزابيث" و زوجها "برنار فور ستر" اللذين تملكتهما رغبة لا تقاوم في الاستئثار بأرشييف "نيتشه" و وضعه في خدمة التنظير للعصر الذهبي للحرب ، و كذلك أنصار القومية و الحركة النازية بشكل عام ، الذين اقتطعوا من نصوص "نيتشه" ما يخدم خطاب المعاداة و رفض الآخر و التحضير لهدمه .

لاستقصاء أمر الأخت و زوجها يجب العودة إلى ما حصل عام 1885، حيث تزوجت "إليزابيث" من "برنار فور ستر" المعروف آنذاك بكونه الصياد النموذجي لليهود في ألمانيا ، و كان هذا الزواج بمثابة صدمة قاسية ل "نيتشه" الذي أصبح يعاني من الوحدة بعد استقالته من الجامعة عام 1879 ، و ما زاد الطين بله هو رحيلها مع "فور ستر" عن أوروبا لممارسة الدعاية العنصرية تحت غطاء منظمة عنصرية أسماها "Neuve Germania" ، لكن و لسوء حظ دعائها باءت بانحيار نهائي ، وانتهت بانتحار "فور ستر" صاحب الفكرة ، و تعويضًا لهذا الفشل عملت "إليزابيث" على الانتقام عبر نصوص أخيها ، فاستولت على أرشييفه و نقحت بطريقتها "هذا هو الإنسان" كما زورت ترتيب النصوص في "إرادة القوة" ، فأصبح كديوان للمحاربين ، اعتقد النازيون أنهم سيجدون فيه معالم إيديولوجيتهم ، ومن بعض ما قامت به لغزيلة التراث النتشوي ، تجاهل و إقصاء تلك الرسالة التي كتبتها لزوجها بخصوص أخيها عقب صدور "هكذا

تكلم زرادشت " حيث قالت أهداف أخي ليست أهدافي، ففلسفته تتجه عكس قناعاتي، فنفهم من هذا القول أن توجهات "نيتشه" مخالفة لتوجهات أخته التي كانت تهدف إلى تغذية روح العنصرية و الانتصار لمبادئ زوجها. أصبح "نيتشه" أسطورة قبل وفاته عام 1900، وبدأت في الانتشار بعد مرضه الأخير بفترة وجيزة في عام 1889، ولعبت "إليزابيث" دوراً أساسياً في ترويجها حتى أنها صادفت قبولاً آنذاك، ومهمتها كانت في غاية الخصوصية توافقت بشكل تام مع ما عبر عنه "نيتشه" بخصوصها، في أنها تسعى دائماً إلى محاولة إلغاء المتناقضات، و محايثة الأضداد في فلك واحد و هو الأمر الذي جعلها تتولى مهمة تأكيد هذا الميل الذي اختارته لنفسها بعد وفاة زوجها (17)، حيث و بعد زيارة "هتلر" لأرشيف نيتشه كتبت لقد بدأت أصعب رسالة في حياتي إنها الرسالة التي تميز طبيعتي كما يقول "نيتشه"، فاستخدمت رسائله و كتاباته لخلق انطباع بأنها كانت قريبة من أعمال أخيها، في حين أن عدائها للسامية كان في الواقع نقطة خلاف خطيرة بينها وبينه، ومع ظهور الحزب الوطني و اتساع شعبيته قام "هتلر" بتلبية طلب "إليزابيث" المتكرر و المتمثل في زيارة أرشيف "نيتشه" في فيمار، فقام النازيون بنشر بعض المقتطفات المضللة من مؤلفاته، وهو في النهاية تحريف مجرد من الضمير، و لهذا تعد "إليزابيث" بمثابة الأخت السيئة المسئولة و لو بصورة جزئية عن سوء تفسير أفكار "نيتشه" الأساسية، و قبل وفاتها شكرت "هتلر" بما أنعم على شقيقها من شرف، حيث صرحت أنها لا تشك تماماً في انه هو "سوبرمان" الذي تنبأ به "زرادشت".

ومن مظاهر التأويل السيئ لكتابات "نيتشه" وجعلها بياناً عنصرياً الاستشهاد به في محاكمات "نورمبرج" التي أجريت لمحاكمة جرائم النازية في الحرب عام 1946 بوصفه شخصية كبيرة مؤيدة لایدولوجيا "هتلر"، و لابد أن "نيتشه" قد فزع _رغم أنه تنبأ بذلك _ من هذا التشويه لأفكاره كما فعل على نحو يدعو إلى السخرية الكاملة في خطاب إلى شقيقته من البندقية عام 1884 حيث يقول:

>>إنني أرتعد رعبا عندما أفكر في أولئك الناس الذين بلا مبرر ، و دون أية قراءة لأفكاري يستنجدون بسلطتي ، ليس المهم ما الذي يعنيه العبقرى خالق الفكرة ، وإنما المهم ما الذي ستصبح عليه الفكرة على لسان أولئك الذين ينقلونها >> (18)، و كان "نيتشه" في هذه الرسالة قد أحس بما ستعرض إليه أفكاره من تشويه سواء من طرف أخته ، أو من النازيين بصفة عامة ، كما لاحظ أن السياسيين يهتمون بالمنفعة أكثر من اهتمامهم بالحقيقة ، و"هتلر" نفسه يعد ممن يقع عليهم هذا الحكم دون خجل بالنظر لما ورد في كتابه "كفاحي".

بالإضافة إلى ما ذكر ، نجد أعمالا أخرى أساءت ل "نيتشه" و تؤكد طرح "توماس مان" الذي يرى أن "نيتشه" لم يخلق الفاشية و النازية بقدر ما خلقت الفاشية و النازية فكر "نيتشه" منها بالخصوص الكتاب المعنون ب "أسطورة القرن 20" ، للمفكر "الفرد روزنبورغ" ظهر عام 1932 ، وقد كرس فيه العديد من الصفحات لإظهار "نيتشه" الداعية إلى الحرب ، و إلى نبذ الأعراق الأجنبية ، كذلك ظهر كتاب "لألفرد بوملر" أظهر فيه "نيتشه" السياسي في صورة مفكر الإرادة و السلطة ، المناضل من أجل ألمانيا و الحرب و الغزو ، فإن هؤلاء الذي سبق و ذكرناهم قد ساهموا بقدر كبير في رسم صورة مشوهة لأفكار "نيتشه" و ذلك من خلال تلك التأويلات التي أولوا بها نصوصه خاصة تلك المتعلقة بمسألة عداة السامية ، فقد حولوها إلى أفكار تخدم أغراضهم و أهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها.

وفي اتجاه معاكس حاول حاموا "نيتشه" الدفاع عن أفكاره البريئة ، والتي لا تتعلق بالعداء و لا بالعنصرية ، و لعل أهم المساهمات ما قام به "جورج باطاي G.Bataille بتخصيص عدد كامل من مجلته "Acéphale" لأجل تخليص "نيتشه" من النازية ، عنوان العدد كان "نيتشه و الفاشيين إصلاح" Nietzsche et les fascistes une Réparation ، شارك فيها كل من "باطاي " ، "بيير كلوسوفسكى " ، و "ماسون رولان" ، و "جون فال" ، صبت مشاركتهم كلها على

إبراز معاني السياسة الكبرى عند "نيتشه" بالاعتماد على نصوص عديدة أهمها "نحن الذين بلا وطن" من "العلم المرح" الذي يقول فيه "نيتشه" متحدثا عن نفسه وعن من هم على دربه: >> غير إننا من جهة أخرى ، بعدين عن أن نكون ألمان بالمعنى الرائج (Deutsch) ، حتى نجعل من أنفسنا الناطقين باسم الوطنية و الحقد العرقي ، حتى نبتهج بالعدوى الوطنية التي بفضلها تترأس الشعوب في أوروبا ضد بعضها في الحاضر...إننا نحن الذين بلا وطن متنوعين و مختلطين فيما يخص الجنس و الأصل ، باعتبارنا ناسا عصريين ، وبالتالي نادرا ما نغرى بالمشاركة في هاته المغالاة ، وفي خدعة الهيام بالذات العرقي هاته التي تعرض نفسها في ألمانيا كعلامة مميزة للمزايا الألمانية >> (19)

عموما هذه الصورة المزدوجة بين مكافح و مناهض لأراء الفيلسوف طبعت النصف الأول من القرن 20 و ما بعده ، وقد حاولنا فقد إبراز هذه العتمة التأويلية لفترة الثلاثينات كونها الفترة الشاهدة على صعود الديكتاتوريات و الأنظمة التوتاليتارية في أوروبا و أجزاء متفرقة من العالم ، بالإضافة إلى كونها الفترة التي بدأ فيها صدام القراءات و التأويلات فيما بينها ورغم ما يمكن أن يقال عن فلسفة "نيتشه" وتصوره ل "إرادة القوة" إلا انه من غير اللائق اختزال هكذا فلسفة بما تمنحه من أطروحات حيوية متنوعة وثرية في مجرد دعوة شرسة لتدمير الأمم لبعضها البعض .

خامسا. الخاتمة:

إن تحديد موقف "نيتشه" من اليهود و حقيقة عدائه للسامية يبقى أمرا إشكاليا ، يتحدد وفق مقاربات خاصة ، أما عن الأسباب التي تجعل هذه المسألة خاضعة لتشويه في الفهم و التأويل يعود إلى عدة أسباب و من بينها نذكر غياب النسقية في الكتابة و بناء النص الفلسفي عند "نيتشه" ، بالإضافة إلى افتقاد كل أصناف الحماية الذاتية فهو نص مفتوح يحمل تناقضات ، ولكن كل ما يجب أن نشير إليه أن معاداة "نيتشه" لليهود بصفة عامة و للسامية بالخصوص كانت نتيجة لأوضاع سائدة في ذلك الوقت ، حينها كان متأثرا بالمناخ الفكري الذي كان سائدا آنذاك سواء من عائلته و المتمثل بوجه الخصوص في أخته "إليزابيث" إضافة إلى أصدقائه في مرحلة الشباب التي كان فيها متأثرا كثيرا حيث في تلك المرحلة لم يكن ناضجا كفاية لكي يأخذ قرارات عكس الآراء التي كانوا يدعون إليها ، كما أن مسألة العداء للسامية في فترة "نيتشه" طرحت بإلحاح على مستوى الخطاب الفلسفي السياسي لأن اليهود برزوا في تلك الفترة كقوة مهددة للدولة الألمانية من خلال تفوقهم في كل المستويات ، بالإضافة إلى هذا توصلت إلى نتيجة و هي أن نصوصه حول هذه المسألة بالخصوص قد تعرضت لتشويه كبير من طرف المؤولين خاصة من طرف أخته التي حولت أفكار أخيها لصالح تحقيق أغراضها الشخصية فأفسدت صورته بصورة تحمل الكثير من أوجه الوقاحة و باعت أصالته مجانا لزعماء القومية الألمانية منذ بداية الثلاثينات

لكن من وجهة نظر معرفية نقول أن معاداة "نيتشه" للسامية تبقى إشكالا يصعب البت فيه من أن نصوصه المعادية لليهود تحمل نفس الحماسة التي تحملها النصوص المبرئة لليهود ، و هذا ما يجعلنا نقع في لبس تحديد موقف محدد له ، و هذا ما يدفع أي تحليل لهذه الإشكالية إلى الأخذ بعين الاعتبار أمورا تتعلق بالظرف الزماني لكتابة أو ظهور النص النيتشوي حيث إنه في كل

الفترات كان يكتب ضدهم و لصالحهم ، و كأنه تغذيه حالات هوس يصعب تبريرها تدفعه إلى الكيل بمكيالين ، مكيال سلبي و مكيال ايجابي ، وحسبنا فهذا الأمر يبدو عاديا إذا ما عرفنا أن هذا الأمر يعد من فنون و استراتيجيات النقد عند الفيلسوف الألماني "نيتشه".

إلا إنني في النهاية استنتجت أن "نيتشه" في الحقيقة و إن انتقد اليهود و فض معتقدتهم و أخلاقهم وما آلت إليه أوروبا بشكل عام بتأثير من اليهود حين سقطت في براثن العدمية و تقديس قيم الهوان ، و إحياء فضيلة الضعف و العبودية ، إلا أنه لم يكن قط عنصريا داعيا إلى سلب كل ما يتعلق بالعرق السامي ، و إبعاد كل يهودي عن مناخ الثقافة الألمانية ، ذلك أن هذه الأخيرة و في صورتها التاريخية لم تكن أمرا ذا قيمة ، و سلبيتها ناتجة عن الإنسان الألماني الذي يقف وراءها، فعداء "نيتشه" للسامية كما سبق و بينت كان نقدا للثقافة اليهودية كديانة و عقيدة لأنها في نظره هي التي مهدت لأخلاق المسيحية التي ينتقدها بشكل كبير.

سادسا: الهوامش :

- (1) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، دار الشروق ، مصر ، ط 1، 1999 ، ص 438
- (2) عثمان أمين ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1، 1989 ، ص 275
- (3) Robert Adanson , Fichte ,William biackell and sons, London, 1881,p.91
- (4) فريدريك هيجل ، حياة المسيح ، دار التنوير ، بيروت ، ط3، 2007 ، ص 42
- (5) فريدريك هيجل ، محاضرات في تاريخ الفلسفة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط2 ، 2002 ، ص 167
- (6) فريدريك هيجل ، فينومينولوجيا الروح ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص 499.

(7) عبد الفتاح الديدي ، فلسفة هيجل ، مكتبة لأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1970 ، ص 258

(8) Yovel Yirmiyahu , les juifs selon Hegel et Nietzsche , seuil , paris , 1er éditions , 2001 , p208

(9) Yovel Yirmiyahu , les juifs selon Hegel et Nietzsche , seuil , paris , 1er éditions , 2001 , p209

(10) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير و الشر ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص 228

(11) فريدريك نيتشه ، أصل الأخلاق و فصلها ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1981 ، ص 30

(12) فريدريك نيتشه ، العلم الجدل ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2001 ، ص 135

(13) فريدريك نيتشه عدو المسيح ، دار الحوار ، بيروت ، ط2 ، 2012 ، ص 228

(14) فريدريك نيتشه ، إنسان مفروط في إنسانيته ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، د.ط ، 2002 ، ج.1 ، ص 210

(15) فريدريك نيتشه ، ما وراء الخير و الشر ، دار الفارابي ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص 11

(16) فريدريك نيتشه ، الفجر ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط1 ، 2013 ، ص 150

(17) صفاء عبد السلام على جعفر ، محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د.ط ، 1999 ، ص 26

(18) كيتي شين لورانس جين ، أقدم لك نيتشه ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د.ط ، 2002 ، ص 153

(19) فريدريك نيتشه ، العلم الجدل ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2001 ، ص 244

سابعاً. قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر باللغة العربية :

1- نيتشه فريدريك ، أصل الأخلاق و فصلها ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1981

- 2- نيتشه فريدريك ، إنسان مفرط في إنسانيته ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، د.ط 2002 ، ج 1
- 3- نيتشه فريدريك ، عدو المسيح ، دار الحوار ، بيروت ، ط 2 ، 2012
- 4- نيتشه فريدريك ، العلم الجدل ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2002
- 5- نيتشه فريدريك ، الفجر ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2013، 1
- 6- نيتشه فريدريك ، ما وراء الخير و الشر ، دار الفارابي ، بيروت ، ط 1 ، 2003
- ثانيا : المراجع باللغة العربية
- 7_ أمين عثمان ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1989
- 8- الديدي عبد الفتاح ، فلسفة هيجل ، مكتبة لأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1970
- 9- المسيرى عبد الوهاب ، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ، دار الشروق ، مصر ، ط 1 ، 1999
- 10_ جين كيتي شين لورانس ، أقدم لك نيتشه ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، د.ط ، 2002
- 11- عبد السلام على جعفر صفاء ، محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د.ط ، 1999
- 12- هيجل فريدريك ، حياة المسيح ، دار التنوير ، بيروت ، ط 3 ، 2007
- 13- هيجل فريدريك ، فينومينولوجيا الروح ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط 1 ، 2006
- 14- هيجل فريدريك ، محاضرات في تاريخ الفلسفة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 2 ، 2002
- بالغة الأجنبية :

15-Adanson Robert ,Fichte , ,William biackell and sons ,London ,1881

16-Yirmiyahu Yovel , les juifs selon Hegel et Nietzsche , seuil, paris , 1er éditions ,2001